

Artical History

Received/ Geliş
06.12.2019

Accepted/ Kabul
23.12.2019

Available Online/yayınlanma
30.12.2019.

IN THE NAME OF ALLAH THE MERCIFUL
THE HERESY IS PROBLEMATIC TERM AND CONCEPT

الزندقة اشكالية المصطلح والمفهوم

أ.م. د. بشرى حنون محسن

أ. د. أنوار سعيد جواد

جامعة كربلاء/العراق

Assistant. Professor. D. Bushraa Hanoon Muhsen
Assistant. Professor.D. Anwar Said Jawad
University of Karbala / Iraq

الملخص

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته من علينا بالتوفيق، وصلاته وسلامه على نبي الرحمة محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه الى يوم الدين، وبعد:

يعالج هذا البحث موضوعاً شغلاً جزءاً كبيراً من التأريخ العربي الإسلامي، منذ بدأ استعماله بكثرة في القرن الثاني الهجري، ثم اتسع بعد ذلك خلال القرن الثالث.

يواجه الدارس في الفكر العربي القديم والحديث إشكالية مقلقة تتمثل في كيفية تناول المصطلحات، وهذه الإشكالية ليست على مستوى القارئ الاعتيادي فحسب؛ بل تتعدى ذلك الى المهتمين والمختصين. فطريقة تداول المصطلح لا تزال ماثراً إشكالية لا يمكن إنكارها. ولعل الامر يرجع الى ان الكثير من المصطلحات المتداولة انتقلت وهي محملة بمحمولة مفاهيمية سواء أكانت تلك المحمولة المفاهيمية على المستوى الفلسفي أم على المستوى التاريخي أم على المستوى العقائدي؛ حتى أصبح عدم ثبات دلالة المصطلح يشكل ظاهرة ملموسة في الدرس النقدي العربي قديمه وحديثه.

تنطلق فرضية هذا البحث من التأكيد على أن تحرير أي مفهوم وتفكيكه وإعادة صياغته، لا بد من أن تأخذ بعين الاعتبار الثقافة التي نشأ فيها أو النسق الفكري الذي يرتبط به وكان سببا في إنتاجه، وذلك لتفريغه من الحمولات الثقافية والأيدولوجية التي لا ترتبط دائماً بالواقع الاجتماعي الجديد، ولا بالإشكالية التي يتصدى لها الباحث والتي يهدف إلى تحليلها ومعالجتها. بمعنى أنه من الخطأ تحديد المفهوم الذي انتجه واقعاً معيناً تحديداً نظرياً عاماً وشاملاً كمدخل لمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية المرتبطة بواقع آخر، بل ينبغي إعادة قراءة المفهوم الذي خرج عن مصطلح ما على ضوء كل قضية منفردة حسب واقعها وظروفها الخاصة وبهذا فان عملية توليد المفاهيم ترتبط ارتباطاً مباشراً بالنسق الثقافي والعقدي.

والزندقة مصطلح غير واضح الملامح، وهذا ما أريد له أن يكون، ليسهل استخدامه من قبل السلطات في البطش بمن تشاء، من دون الحاجة إلى البحث عن سبب أو مبرر لها، غير تهمة الزندقة التي تحتل ألف شكل، بمعنى إن الزندقة تحولت من مصطلح عقدي إلى مصطلح سياسي، والاصح انها تحولت الى شبهة قد تلحق باي احد من دون تمييز .

فالزندقة مبدأ ليس بجديد، وإن كان له في كل عصر لباس جديد وشعار جديد. ولم يقتصر موضوعها على الماضي فحسب بل تعداه الى الحاضر. وإذا كانت تهمة الزندقة قد خفّت وقلّ المهاجمون بها الا انها عادت إلى قوّتها؛ تتهم وتهاجم من قبل قوى ذات نفوذ ومصالح تريد أن تشغل الناس، وتشعل الفتنة وتثير البغضاء والكره بينهم لتضمن لنفسها البقاء. وقد تصدق الزندقة على بعض من اهتم بها لكنها لا تصدق على آخرين. وقد تعرّض بسببها _أو بسبب الاتهام بها_، عدد من المفكرين والكتّاب والشعراء للقتل أو التعذيب أو التشريد إذ كانت تهمة تتسع حتى تلحق أي شخص ترى فيه السلطة آنذاك تهديداً لها بأيّ شكلٍ ظهر هذا التهديد. وكتب التاريخ حافلة بنماذج ممن تنطبق عليهم التهمة ومن اهتموا بها زورا. كل هذا، قادنا الى البحث في أهمية هذا المصطلح وابعاده في الماضي والحاضر مسلطين الضوء على نماذج للزندقة سواء كان اتهامهم بالزندقة حقيقياً ام مجرد تهمة.

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, with whom we have been blessed by success, and his prayers and peace be upon the Prophet of Mercy Muhammad, his family and companions, and his followers until the Day of Judgment,

This research deals with a large part of the Arab-Islamic history, since it was widely used in the second century AH and then expanded during the third century.

In the old and modern Arab thought, the student faces a worrying problem of how to deal with terminology. This problem is not only about the ordinary reader, but also for the interested and

the specialized. The way the term is traded is still undeniable. It may be due to the fact that many of the terms in circulation have moved loaded with a conceptual load, whether that conceptual load at the philosophical level or at the historical level or on the ideological level; so became the instability of the term is a tangible phenomenon in the lesson of the Arab criticism of old and modern.

The hypothesis of this research stems from the assertion that the liberation of any concept and its disassembly and reformulation must take into account the culture in which it originated or the intellectual pattern to which it is connected and which was the reason for its production, to free it from the cultural and ideological burdens that are not always linked to the new social reality, And the problem faced by the researcher, which aims to analyze and address. In the sense that it is wrong to define the concept produced by a given reality in general theoretical and comprehensive as an input to address the social, political, cultural and intellectual issues associated with another reality. The concept that came out of a term should be re-read in the light of each individual case according to its own reality and circumstances. Directly linked to the cultural and the contractual context.

The heresy is a term that is not clear-cut, and this is what I want it to be. It is easier to use it by the authorities in oppression than it wishes, without the need to search for a reason or justification for it. The political term, and the correct it turned into a suspicion may be inflicted on anyone without discrimination.

The heresy is not a new principle, although in every era it has a new dress and a new emblem. Its theme was not only the past but also the present. If the charge of heresy has diminished and the attackers say it has returned, its power is accused and attacked by influential forces and interests that want to occupy people, ignite sedition and provoke hatred and hatred between them to ensure their survival. The heresy may be ratified by some who are accused of it but do not believe others. A number of intellectuals, writers and poets have been killed, tortured or displaced because of it – or because of its accusation – a charge that can be extended to anyone in whom the authority sees it as a threat in any form. History has been full of examples of those who are accused and falsely accused. All this led us to explore the importance of this term and its past and present dimensions, highlighting the models of heretics, whether they are accused of real heresy or mere accusation.

مدخل: إشكالية المصطلحات القلقة

يواجه الدارس للفكر العربي القديم والحديث إشكالية تتمثل في كيفية تناول المصطلحات، وهذه الإشكالية ليست على مستوى القارئ الاعتيادي فحسب؛ بل تتعدى ذلك الى المهتمين والمختصين. فطريقة تداول المصطلح لا تزال مثار إشكالية لا يمكن إنكارها في الدرس الادبي والنقدي.

ولعل الامر يرجع الى ان الكثير من المصطلحات المتداولة على مدى العصور والأزمان انتقلت وهي محملة بحمولة مفاهيمية كبيرة؛ سواء أكانت تلك الحمولة المفاهيمية على المستوى الفلسفي أم على المستوى التاريخي أم على المستوى العقدي؛ هذا من جانب، ومن جانب اخر فان للبيئة وللظروف التي ينشأ فيها المصطلح تأثير في انبعاث إشكاليات أخرى، منها التغيير الحاصل في المجتمع على كافة المستويات والأصعدة الفكرية، حتى أصبح عدم ثبات دلالة المصطلح يشكل ظاهرة ملموسة في الدرس النقدي والأدبي بشكل عام، وقد يكون من اسباب اشكالية (المصطلح) -أيا كان - انه ليس هناك تعريف دقيق متفق عليه بين العلماء والنقاد لكثير من المصطلحات المتداولة، وربما يعود السبب في ذلك إلى اختلاف التكوين الفكري والعلمي والثقافي لمن يقوم بتعريف المصطلح نفسه، فيختلف المفهوم من واحد لآخر وفقا لاختلاف الثقافة. فضلا عن اختلاف التوظيف للمصطلح وطريقة الاستعمال، ولا ننسى قضية الترجمة اذ ان لها الاثر الاكبر في خلخلة المعاني للمصطلح الواحد. ولا يتوقف الامر عند حدود المصطلح بل يتعداه الى المفاهيم التي توضع للمصطلح وهذا الامر واضح للعيان بالنسبة للكثير من المصطلحات.

تنطلق فرضية البحث من التأكيد على أن تحرير المفهوم وتفكيكه وإعادة صياغته لا بد من أن تأخذ بعين الاعتبار الثقافة التي نشأ فيها ذلك المفهوم والأيدولوجيا أو النسق الفكري الذي يرتبط به، وذلك لتفريغه من الحمولات الثقافية والأيدولوجية التي لا ترتبط غالبا بالواقع الاجتماعي الجديد وربما لا تمثله ادنى تمثيل، ولا ترتبط بالإشكالية التي يتصدى لها الباحث ويهدف إلى تحليلها ومعالجتها، بل ينبغي إعادة قراءة المفهوم على ضوء كل قضية منفردة حسب واقعها وظروفها الخاصة. وهذه هي القضية الشائكة التي يتجنبها بعض الباحثين الذين يستسهلون تبني أيدولوجيا تعطي تصورات شاملة وتقدم حلولاً جاهزة وأحكاماً تفصيلية وقطعية مسبقة تريح الباحث أو تعفيه من عبء التحليل الموضوعي والتحري الدقيق في كل قضية يتصدى لها على حدة .

إشكالية مصطلح الزندقة والتوظيف الأيدولوجي

مصطلح (الزندقة): واحد من المصطلحات التي أستخدمت بشكل فضفاض، ويظهر ذلك بالمقارنة بين التنظير للمصطلح وبين النماذج التطبيقية في أعماله واشتغاله على الاشخاص، هذا الأعمال للمصطلحات القلقة بشكل

عام يكمن خلفه _ وإن كان من جانب خفي _ توظيف أيديولوجي، وإن كان في ظاهره ينطلق من اسس علمية ومنهجية؛ إلا أن بنية الخطاب تنم عن كون المشتغل بهذا الحقل يتعامل مع أفكاره وتصويراته كثناب؛ بل ويدعو الى الدفاع عنها ويقوم بحراستها، وهذه الممارسة في الاستعمال المصطلحي تسعى إلى تطويع المصطلح بشكل قسري للدلالة على توجهات الناقد ومراده، ولذلك أعطت هذه الإشكالية في المصطلحات مجالاً خصباً ليمارس الناقد الأعيبه في الحجب والإظهار، أو الإنطاق والإسكات للنصوص، بمعنى أن عملية اطلاق المصطلح - في بعض اشكالها - منوطة بالأشخاص وبمرجعياتهم الثقافية والعقدية ورؤاهم الايديولوجية. وهذا الامر ليس حكرًا على الادب وفنونه بل يتعداه الى بقية الفنون والعلوم المختلفة والمتنوعة، فكل انتاج معرفي لا ينفصل عن منتجه بل هو يعبر عن مرجعيات المنتج بشكل او بآخر.

تحديد الزندقة

في البدء علينا ان نحدّد مفهوم الزندقة أولاً، وهل أراد المؤرّخون وأصحاب المقالات من ذلك مذهباً بعينه أو اخترعوا هم مذهباً له؟! اسمه (الزندقة) واسم أتباعه (الزنادقة)، ليصح بعد ذلك، أن نصف شخصاً ما بأنه زنديق؟! أم أنّ الزندقة كانت تهمّة تتسع حتى تلحق أي شخص ترى فيه السلطة آنذاك تهديداً لها؟! بأيّ شكلٍ ظهر هذا التهديد.

فما المقصود بالزندقة التي شغلت الرأي العام الإسلامي مدة ليست بالقصيرة؟ وتعرض بسببها أو بسبب الاتهام بما عدد من المفكرين للقتل أو التعذيب أو التشريد!، وكلهم متهمون بالزندقة، مشمولون بالانتساب إليها على الرغم من اختلاف رؤاهم وتوجهاتهم الثقافية والعقدية والايديولوجية.

أو يمكن طرح التساؤل بشكل آخر: ما الذي يجمع هؤلاء أو يقرب بينهم من نسب أو فكر أو مذهب؟ ليمكن للمؤرخين المسلمين، أن يطلقوا عليهم جميعاً، اسم الزنادقة ! من دون أن يجدوا في ذلك حرجاً أو مأثماً، يمنعهم من هذا الخلط أو من هذا التوصيف .

المبحث الاول : الزندقة لغة واصطلاحا

1 - الزندقة في اللغة

الزَنْدَقَةُ: هي القولُ بأزليَّةِ العالم، وأُطلق على الزرادشتيَّة، والمناوية، وغيرهم من الثنوية⁽¹⁾، وتوسَّع فيه فأُطلق على كل شاكِّ، أو ضالِّ، أو ملحد⁽²⁾.

والزَنْدَقَةُ: الحُبُّ والضَّلَالُ والمَكْرُ والإِلْحَادُ، وكُلُّ قَوْلٍ يَخْرُجُ عَمَّا هُوَ مُتَعَارَفٌ عَلَيْهِ وَإِنْكَارُ الدِّينِ⁽³⁾ وهي إضمار الكفر وإخفاؤه وإظهار الإيمان⁽⁴⁾، وربما أُطلق الزنديق على الدهر⁽⁵⁾. هذا هو مفهوم اللفظ عند من يستعمله وعند من يسمعه، منذ بدأ استعماله في القرن الثاني الهجري، ثم اتَّسع بعد ذلك خلال القرن الثالث⁽⁶⁾.

2 - الزندقة في الاصطلاح:

مصطلح عام يطلق على حالات عديدة، يعتقد إنها أطلقت تاريخياً لأول مرة من قبل المسلمين لوصف أتباع الديانات المانوية أو الثنوية والذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم هما: النور والظلام؛ ولكن المصطلح بدأ يطلق تدريجياً على الملحدين و أصحاب البدع وكل من يحيا - بحسب ما عدّه المسلمون - حياة المجون من الشعراء والكتّاب. وأستعمل بعضهم تسمية زنديق لكل من خالف مذهب أهل السنة ويصف البعض تيارات معينة من الصوفية بالزندقة⁽⁷⁾، ويعتقد البعض إن اصل كلمة زنديق هي الكلمة الفارسية "زنده كَرْد" والتي تعني إبطان الكفر والإلحاد.

(1) ينظر: تاج العروس (مادة: ز ن ق ، فصل الزاي من باب القاف) ومختار الصحاح (مادة: ز ن د ق)

(2) ينظر: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية- مصر ، ط4 ، 2004م، ص: 403.

(3) ينظر: المعجم الوسيط : 403

(4) معجم الرائد ، جبران مسعود ، دار العلم للملايين. بيروت-لبنان ، ط7 1992: حرف - ز - 422.

(5) لسان العرب مادة "زندق" : 147/10

(6) ينظر: دروس في تفسير القرآن العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي ، المركز الإسلامي للدراسات بيروت_ لبنان الطبعة

الثانية. -1999 م. ص: 6-9.

(7) العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص: 441.

وعليه فإن البعض يعرّف الزنديق: بأنه الشخص الذي يعتقد الكفر ويظهره كلما سنحت له الفرصة ولكن إذا تم اكتشاف امره فانه لا يمانع ان ينكر إحداه، وهو بهذا يختلف عن المنافق الذي _ وعلى حسب تعريف المسلمين _ يستتر بكفره في باطنه بينه وبين نفسه⁽⁸⁾.

ويعرف بعضهم الآخر الزندقة كصفة فارسية معناها متبع الزند أي الشروح القديمة للأفستا⁽⁹⁾. ويرى الجاحظ إن الزندقة فشت في النصارى فقال: ((ودينهم - يرحمك الله - يضاهي الزندقة، ويناسب في بعض الوجوه قول الدهرية، وهم من أسباب كل حيرة وشبهة. والدليل على ذلك أنّ لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى، ولا أكثر متحيراً أو مترنحاً منهم...))⁽¹⁰⁾

بعد ظهور حركة الزندقة في الإسلام من المواضيع التي لم يسלט عليها اهتمام يذكر من قبل المؤرخين على الرغم من قدم الحركة، وهناك كتب تاريخية⁽¹¹⁾ تتحدث بصورة سطحية عن أشهر الزنادقة والمحاربة الشديدة التي تعرضوا لها في زمن خلافة المهدي⁽¹²⁾ فإنه تم إلقاء القبض على معظمهم وأمر الخليفة بقتل بعضهم وتمزيق كتبهم وتم تخصيص قضاة لهذا الغرض وكان القضاة في العادة يطالبونهم - أي المتهمين بالزندقة - بالرجوع عن الزندقة وللتأكيد من إنهم فعلاً خرجوا عن الزندقة كانوا يطالبون المتهم بالبصق على صورة ماني بن فتك وان يذبح حيوانا تحرمه المانوية علما إنه لا توجد مصادر تتحدث عن تقديس المانوية طائراً معيناً⁽¹³⁾، وذكر الحافظ ابن حجر عن أصل الزنادقة ما نصه: ((أصل الزنادقة أتباع دَيْصان، ثم مانيّ ثم مزدك وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة قديمان، وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما، فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، ومن كان من أهل الخير فهو من النور))⁽¹⁴⁾.

وما ان نتقدم بالزمن قدما ونقف عند اعتاب العصر العباسي نلاحظ ظهور هذا المصطلح؛ أكثر من العصر الذي سبقه وانتشاره بشكل واسع حتى انه أصبح يقال للشخص: هذا رجل زنديق، أو متهم بالزندقة، فأصل هذه الكلمة كما قال بعضهم: إن الزندقة مأخوذة من كتاب كان يؤمن به المجوس يسمونه (زندفسته) وهذا (الزندفسته)

⁽⁸⁾ أمراء البيان، مُجّد كرد علي، الطبعة الثالثة، دار الأمانة، بيروت، 1969، ص 88.

⁽⁹⁾ وهو كتاب زرادشت مؤسس الديانة الزرادشتية ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ط 12، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص: 140

⁽¹⁰⁾ رسالة في الرد على النصارى، عمرو بن بحر الجاحظ، ص: 17

⁽¹¹⁾ ومن هذه الكتب: كتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب الأغاني لابي الفرج الاصفهاني، وكتاب مروج الذهب للمسعودي.

⁽¹²⁾ ينظر: البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح، مُجّد عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948، ج 29/3. وهناك اشارة للدكتور عبدالرحمن بدوي نقلا عن كتاب الاغاني وفي سنة 163 بعد

الهجرة بدأت حملة الخليفة العباسي أبو عبد الله مُجّد المهدي على الزنادقة، ينظر: من تاريخ الاحاد في الاسلام، ص: 41

⁽¹³⁾ ينظر: أمراء البيان، ص: 91.

⁽¹⁴⁾ الفتح، 271-270/12

هو كتاب المجوس، فكانوا يتهمون من يظهر الإسلام وهو في الحقيقة غير مؤمن؛ بالزندقة؛ لأنه يعتقد ما في كتاب الفرس أو المجوس وقال آخرون: الزندقة مأخوذة من كلمة (زندكي) ومعنى كلمة (زندكي): الحياة أو الزمان أو الدهر⁽¹⁵⁾.

مما تقدم يتبين لنا أن الزنديق: هو الدهري الذي لا يؤمن بالبعث ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وقد ظهر هذا المصطلح في تلك الحقبة؛ لأن من الفرس من دخل في دين الإسلام كذباً وزوراً، وأخذوا يدسون ويكيدون للنيل منه، أما في زمن بني أمية فكان الإسلام ظاهراً عزيزاً قوياً فلم يستطيعوا أن يظهروا شيئاً من مقالاتهم، فلما جاء بنو العباس - وإنما قام ملكهم على أكتاف الفرس - اظهروا ما كانوا يضمرون بمختلف الطرق⁽¹⁶⁾

وبما ان الزندقة ترتبط - في الأصل - بأديان الفرس القديمة، وجب استعراض هذه الأديان استعراضاً سريعاً، لمعرفة العلاقة بين الاثنين، ثم افتراق الزندقة بعد ذلك وتوسّع مدلولها والذي شمل ما لا علاقة له بتلك الأديان بل وما خالفها وعارضها. واهم واعظم ديانات الفرس المجوسية ومن شعائر المجوس تعظيم النار وبناء البيوت لها، وأهم مذاهبهم:

1- الزرادشتية: وهم أتباع زرادشت وقد غلبت على سائر المذاهب المجوسية الأخرى حتى أننا لنستطيع، أن نعد الزرادشتية هي الممثلة الحقيقية للمجوسية، وهي المقصودة حين يجري الكلام عن المجوس والمجوسية⁽¹⁷⁾.

2 - المانوية وتنسب الى ماني؛ وعد مذهبه حركة اصلاحية للمذهب الزرادشتي⁽¹⁸⁾. ويذكر المؤلفون أنّ تعاليم ماني كانت تقوم على ترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الأوثان وقتل ذي الروح أو أذاه⁽¹⁹⁾.

⁽¹⁵⁾ ينظر: تفاصيل المذاهب المجوسية والاسباب التي احوالت مفهوم الزندقة واعتناقها من قبل البعض بتأثير من هذه المذاهب، الزندقة في الادب العربي (العصر العباسي الاول)، د. هاشم جعفر الحيدري: 41- 44.

⁽¹⁶⁾ ينظر: الزندقة في الاب العربي (العصر العباسي الاول): د. هاشم جعفر الحيدري، ص: 21 - 22.

وينظر: شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

www.alhassanain.com في الزندقة والشعبية

⁽¹⁷⁾ ينظر: دين الانسان، فراس السواح، ص: 103 - 104.

⁽¹⁸⁾ ينظر: الزندقة في الادب العربي (العصر العباسي الاول)، ص: 42

⁽¹⁹⁾ ينظر تفصيل ذلك في شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com

في الزندقة والشعبية (وفي أيام ماني هذا. كما يقول المسعودي . ظهر اسم الزندقة الذي إليه أضيف الزنادقة ، وذلك أنّ الفرس حين أتاهم زرادشت بن اسبيمان بكتابه المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند .. وكان الزند بياناً لتأويل المتقدم المنزل ، وكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا : هذا زندي فأضافوه إلى التأويل ، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل ، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا

3- المزدكية وهم أتباع مزدك الذي ظهر في أيام الملك قباد ودعوا الى ما كانت تدعو اليه المجوسية وليس بين المزدكية والمانوية كبير اختلاف فيما يخص تركيب العالم من أصلين اثنين: النور والظلمة .. وحين تملك كسرى انو شروان فنك بالمزدكية، وقطع رؤوسهم وأعاد الناس إلى المجوسية⁽²⁰⁾.

ويرى احد المشايخ ان الزنادقة حالياً هم الروافض والعلمانيين والاشتراكيين فهؤلاء كلهم كفار زنادقة ملعونون يبتنون كيدهم للإسلام واهله⁽²¹⁾ وهذا يثبت حقيقة - لا ينبغي ان تغيب عن البال - ان مفهوم الزندقة مفهوم مطاط وواسع فضفاض يحق لأي احد ان يُدخل فيه من يشاء لبتهمه به.

عقائد الزنادقة

إن عقائد الزنادقة قد تضمنت كماً هائلاً من صنوف الكفر الصريح، والردة الظاهرة، كقولهم بالحلول، وتأليه البشر، وتشبيهه الله - تعالى - بخلقه، وإنكار النبوة أحياناً، وادعاء النبوة أحياناً أخرى! والقول بالتناسخ، وإنكار القيامة والجنة والنار، واستحلال المحرمات وجحد الواجبات⁽²²⁾.

نشأة الزندقة ومراحلها التاريخية:

مما تقدم يتضح لنا إن فكرة الزندقة والإلحاد موجودة منذ القدم، حيث كانت معروفة عند قدماء اليونان والهندوس والفرس، كما أن الزندقة موجودة وظاهرة في العصر الحديث، وقد قام الزنادقة - عبر العصور الإسلامية المختلفة- بثورات سياسية وأعمال تخريبية، والأولى من ذلك أنهم أثروا تأثيراً بالغاً على معتقدات بعض الفرق التي

المعنى من الفرس وقالوا زنديق ، وعربوه والتنوية هم الزنادقة ...) (١) مروج الذهب ج ١ ص ٢٧٥ أما الخوارزمي فينسب كتاب الزند . تأويل الابستا . إلى مزدك ويربط الزندقة به وبأصحابه مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٥ - ٢٦ . وينظر : دين الانسان ، ص: 102 -

105

⁽²⁰⁾ ينظر: الزندقة في الادب العربي (العصر العباسي الاول)، ص: 43.

⁽²¹⁾ يعلل صاحب البحث زندقة الرافضة بحسب اعتقاده (لو لاحظت اصل دين الرافضة لوجده التالي: القران محرف والصحابه كفار وامهات المؤمنين زانيات وكافرات . وتاريخ الاسلام عندهم اسود كله اغتيالات وقتل وخيانة وسفك للدماء وصورته مشوهه والائمة الاثني عشر معصومون بل هم افضل من الانبياء والملائكة عليهم السلام...!!! ولو لاحظت اصل دين العلمانية والاشتراكية لوجدته كالآتي: الحكم بغير ما نزل الله قبل كل شي ثم فصل الدين عن الدولة....

⁽²²⁾ ينظر توضيحاً لذلك في: كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي في باب الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها.

تدعي الإسلام، بل نجد أن بعض الفرق قد "تزندقت". وأمر ثالث يؤكد أهمية ذلك وهو أن المستشرقين قد اعتنوا عناية كبيرة بهذا الموضوع، فكتبوا دراسات مستقلة عن بعض الزنادقة⁽²³⁾.

في الجاهلية عرفت الزندقة؛ وكان هناك أشخاص محدّدون وقبائل عرفت بالزندقة وقد كان لاحد الباحثين رأي في ذلك⁽²⁴⁾.

وفي عهد النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) لم تكن كلمة (الزنديق) معروفة وكذلك في عهد الصحابة، ولهذا كانوا إذا أرادوا أن يحكموا على أحد ممن لا يستطيعون أن يشهدوا له بالإيمان، ولم يكن في ظاهره من الكفار، بل كان من المقرين بالإسلام المظهرين له، فإنهم يقولون عنه: إنه منافق، ويعرفون المنافق بعلاماته المعروفة التي تكون قرائن واضحة دالة على باطنه المناقض لظاهره⁽²⁵⁾، وقد كانت بعض وجوه الزندقة معروفة قبل الإسلام وبعده، لكنّها كانت تسمّى بأسمائها ولم تكن الزندقة من بين هذه الأسماء. كان الكفر معروفاً في الجاهلية ومعروفاً في الإسلام. وكان الزنا واللواط معروفاً في الجاهلية ومعروفاً في الإسلام. وكانت الخمر ومعاقرتها والتمدح بشرها معروفة في الجاهلية ومعروفة في الإسلام. لكنّها كانت كفراً وزناً ولواطاً وخمراً. هذه أسماءها في الجاهلية وهي ذاتها أسماءها في الإسلام الذي فرض على ارتكابها عقوبات محدّدة⁽²⁶⁾ لكل واحدة منها.

وقد اورد احد الباحثين المحدثين ثبناً بأسماء عدد ممن يعدهم المؤلّفون المسلمون القدماء انهم زنادقة، وهم الذين تتردّد في الغالب أسماءهم في المصادر التي تتناول الموضوع وستجد في هؤلاء الزنادقة، المشرك الوثني والمسلم الموحد. ستجد العربي الصليبية، والعربي المغموز النسب، والمولى، والفارسي. ستجد الجاهلي، والمخضرم، ومن عاش في ظل الإسلام. ستجد الملحد الدهري، والثنوي، والشاك، والمتحير، ستجد الماجن الخليع الراكض وراء لذات الحياة، والزاهد المتعقّف الذي ترك الحياة ولذاتها، ستجد من يؤمن بالاثنتين، ومن ينكر الواحد. ستجد من جعل مذهبه اللواط ونكاح المحارم، ومن حرّم على نفسه حتى الزواج الذي حلّه الله ودعا إليه. ستجد المفكّر صاحب

⁽²³⁾ ينظر : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ,عبد الرحمن بدوي, و ينظر : دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ، 446-440/10.
⁽²⁴⁾ يرى احد الباحثين ان زندقة الجاهلية أمر فيه طرافة تثير الفضول . فأنا لم أكن أعرف مثلاً أنّ في الجاهلية زنادقة . وإذا عرفت فأنا أجهل ماذا كانت تعني الزندقة عندهم ، ولا العلاقة التي تربط هؤلاء بزنادقة الإسلام : فيم يلتقون و فيم يفترون ! وهل من سبيل إلى تحديد مذاهبهم واتجاهاتهم . وهل تعرّضوا أو بعضهم للقتل كما حصل ذلك في الإسلام ؟ ويعترف الباحث انه لم يصل فيه إلى شيء ، غير مجموعة من علامات الاستفهام التي ستبقى تفتش عن جواب . ينظر : شبكة الإمامين الحسين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com في الزندقة والشعوبية

⁽²⁵⁾ (الرافضة ودورهم في نشر الزندقة الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي من درس: ظاهرة الزندقة وما يتعلق بها من أحكام. <http://s1065320.instanturl.net>

⁽²⁶⁾ شبكة الإمامين الحسين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com في الزندقة والشعوبية

الرأي، والهازل الذي لا يريد أن يفكر أو يكون له رأي. كيف أصبح كل هؤلاء إذن أتباع مذهب واحد؟! وهم لو سألتهم لأنكر كل منهم صاحبه، وبرئ منه ولعن مذهبه⁽²⁷⁾.

وهذا الامر بحد ذاته يدعو الى التساؤل هل حقا هؤلاء زنادقة؟ قتلتهم الزندقة؟ أم أن هناك اسبابا اخرى لتصفيتهم جسديا بحجة الزندقة؟! وذات الامر يدعونا الى التساؤل كيف اتسع اللفظ هذه السعة، حتى تحوّل إلى شبح مخيف وإرهاب يفقد معه الناس حياتهم على الظن والتهمة؟ هل هو مصطلح حمل بين طبائنه شبح الموت، هل هو طريق الهاوية الذي لا رجعة منه؟ ولم حفلت كتب التاريخ والادب بأسماء الزنادقة؟، اسئلة كثيرة تطرح نفسها امام الباحثين. أين تكمن الحقيقة ان كانت هناك حقيقة يمكن ان يتوصل اليها الباحث ولنا في قول احد الباحثين وهو يقف عند اتهام التوحيد بالزندقة واختلاف الآراء في هذا الموضوع فينتهي الى نتيجة مفادها: ((هذا درس بليغ يدعونا الى التماس افكار المفكرين في مقولاتهم ومقالاتهم التي كتبوها هم، وليس ما كتبه عنهم الاخرون، مهما كان احترامنا لهؤلاء الاخرين))⁽²⁸⁾.

يبدو أنّ السلطة السياسية والدينية كانت وراء هذا التمييز لمفهوم الزندقة. لا لأنّ هذا المفهوم غير قابل بطبيعته للتحديد، بل لأنّها لا تريد تحديده، وتحرص على إبقائه واسعاً فضفاضاً، تستطيع أن تلجأ إليه وتستعمله كلما أرادت التخلص من خصومها بتهمة تعرض الدين للخطر ومع السلطة كان النزاع بين المذاهب الإسلامية المختلفة يلعب في نفس الاتجاه دوراً أقل ما يوصف به أنّه دور المبرّر والمؤيّد للسلطة في القتل وسفك الدماء.

⁽²⁷⁾ من هؤلاء الزنادقة نذكر: الوليد بن المغيرة، أبي بن خلف، منبّه بن الحجاج، نبيه بن الحجاج يحيى بن زياد، بشار بن برد، أبو نواس، والبة بن الحباب، مطيع بن إياس، عبد الله بن المقفّع، حماد عجرد، صالح بن عبد القدوس، معن بن زائدة، ابن الراوندي، حماد الراوية، حماد بن الزبرقان، إسحاق بن خلف، أبو حيان التوحيدي، عبد الكريم بن أبي العوجاء، أبو العلاء المعري، أبو زيد البلخي، ديك الجن، سلم الخاسر، أبو عيسى الوراق، أبو العباس الناشئ، مُجّد بن عبد الملك الزيات، أبو دلامة، أبان بن عبد الحميد اللاهقي، أبو العتاهية، شريك القاضي، زائدة بن معن بن زائدة، مُجّد بن زكريا الرازي، الشيخ مُجّد عبدة الإمام (المصلح المصري الكبير) . هذا عن الأفراد الذين يضاف إليهم أسر كاملة : كالبرامكة ، وآل سهل ، أو فرق مذهبية كاملة : كالمعتزلة ، وأصحاب الكلام ، والفاطميين العبيديين أصحاب مصر .. ويمكنك أن تضيف إلى كل أولئك : من ينتقص الصحابة أو طعن في عدالتهم عند أصحاب الحديث و(من طلب الدين بالكلام) عند أبي يوسف . والمعتزلة عنده أيضاً ، والجهمية عند الأصمعي . ومن يشرب الخمر ويضرب بالطنبور كما يذكر صاحب العقد الفريد ج ٤ /ص: ١٠٥ . وحتى الإمام الشيخ مُجّد عبدة لم يسلم من الاتهام بالزندقة هو وجماعة من أصحابه ، كما يذكر الدكتور مُجّد حسين هيكل في (حياة مُجّد) ط ١ القاهرة ١٣٥٤ هـ ص ١٥ .

⁽²⁸⁾ ابو حيان التوحيدي بين الزندقة والابداع، د. مُجّد عمارة ، مطبعة نهضة مصر ، 1997م ص: 3-4

واستناداً إلى ما ذكره الطبري فإن تهمة الزندقة تم توظيفها أيضاً في تصفية الخصوم السياسيين ولاسيما من الهاشميين⁽²⁹⁾ ومن غيرهم من التيارات الفكرية التي كانت معارضة للسلطة آنذاك؛ حتى وصل الأمر أن طالت هذه التهمة البرامكة الذين كانوا وزراء لهارون الرشيد وكانوا أشهر وزراء الدولة العباسية الذين امتد نفوذهم وسلطانهم معظم أركان الدولة، وحين تبين للرشيد سعة نفوذهم وجد من تهمة الزندقة وسيلة سهلة للتخلص منهم وقتلهم، وقد قال فيهم الأصمعي:

" إذا ذكر الشرك في مجلسٍ أضاءت وجوه بني برمك

وإذا تليت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزدك"⁽³⁰⁾

نماذج من الزنادقة في الأدب العربي

اجتهد الخلفاء في تتبع الزنادقة والقضاء عليهم واستئصالهم، بحجة الحفاظ على الدين وأهله، وقد اشتهر الخليفة العباسي المهدي بالعبادة بذلك، حيث عين رجلاً ليتولى أمور الزنادقة⁽³¹⁾. والمتهمون بالزندقة عدد غير قليل -على مدى التاريخ- قتل بهذه التهمة من الشعراء والكتّاب والأدباء وسنستعرض بعض النماذج ومنهم:

1 - بشار بن بُرد⁽³²⁾

شاعر عباسي لم يترك باباً من أبواب الشعر إلا طرقة ونظم فيه. مدح وهجا وتغزل وشبب وفضل النار على الأرض وأفسد النساء فلم تتعرض له السلطة ولم تسجنه، بل على العكس، كان المهدي -الذي قتله فيما بعد - يدينه ويقربه ويطلب معاونته في قول الشعر، إذا تهيأت مناسبة واحتاج إليه، أو حاوله في مناسبة ولم ينجح فيه.

⁽²⁹⁾ يورد الطبري على سبيل المثال يعقوب بن الفضل الذي اودع السجن بتهمة الزندقة. وعليه فإن الحملة الأولى على الزنادقة كانت موجّهة بصورة خاصة إلى اتباع الديانة المانوية مما يسند النظرية القائمة بان معنى كلمة زنديق قد تغير تدريجياً عن معناه الأولي واتسع معناه بعد تلك الفترة.

عبد الله بن المقفع، كتاب كليلة ودمنة ضمن الأعمال الكاملة له، طبعة بيروتية، 1985، 9.

⁽³⁰⁾ مزدك هو رأس المزدكية

⁽³¹⁾ ويقول ابن كثير - في حوادث سنة 167هـ - ((وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم

صبراً بين يديه)) البداية والنهاية في التاريخ 149/10

⁽³²⁾ ديوان بشار بن برد :ج:1: 12-13.

إذن ما الذي دعا إلى قتل بشار وهو يخالط الجان الداعرين من الشعراء ويشاركهم مجونهم ودعارتهم ويقول الشعر الفاحش الداعر مدة ثمانين عاماً فلا يمنع من ذلك إلا ما يروى عن نهي المهدي له، وهو كل ما يروى في هذا الشأن⁽³³⁾!؟

كان بشار شاعراً ككل شعراء ذلك العصر، يبحث عن الجوائز والمال، ومع الجوائز والمال، الجاه الذي يسبغه عليه قربه من أولي الأمر وتقديهم له على أقرانه. وهو ما يطمع به الشعراء ويحرصون عليه، جاهلية وإسلام. وقد هجا بشار صالح ويعقوب أخيه⁽³⁴⁾، ولم يكتف بهما، بل حمله الغيظ على هجاء المهدي، فقال فيه :

" بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

صاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود"⁽³⁵⁾

وهو في هذين البيتين لا يهجو المهدي فقط بتخليه عن أمور المسلمين وانصرافه إلى لهوه ولذاته بين الزق والعود كما يقول، وإنما يجرّس المهدي على يعقوب الذي جعل منه الخليفة ويغريه به. ثم لم يلبث أن قال في المهدي ما لا يحتمله خليفة ولا غير خليفة :

"خليفة يزني بعمامته..... يلعب بالدبوق والصوبجان

أبدلنا الله به غيره..... ودس موسى في حر الحيزران"⁽³⁶⁾

فأخذته السياط حتى قضى تحتها وألقت جثته في البطيحة⁽³⁷⁾ هكذا اسدل الستار عن حياة هذا الشاعر، فالزندقة لم تقتله ولكن قتله هجاء الخليفة في الوقت الذي كان قد قال قصائد في تفضيل ابيس على ادم ولم يحاسبه الخليفة ولم يتخذ بحقه أي اجراء. ولكن ما ان تجاوز على مقام الخليفة حتى وجد الأخير من الزندقة لباسا لاثقا يرتديه خصمه فكان له ما اراد في التخلص من الشاعر.

⁽³³⁾ ينظر: شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com في الزندقة والشعوبية، وينظر: الزندقة في الاب العربي (العصر العباسي الاول)، ص 263 – 267.

⁽³⁴⁾ هو صالح بن داود والي البصرة من قبل الخليفة المهدي. ينظر: الطبري، ج8/150 و161.

⁽³⁵⁾ ديوان بشار، ج1: ص: 40. وينظر الاغاني، ج71/3 يقال ان هذه الابيات قد اتحلها يعقوب ونسبها الى بشار. ينظر: الزندقة في الاب العربي (العصر العباسي الاول)، ص: 267.

⁽³⁶⁾ ديوان بشار، ج1، ص: 40 وينظر الاغاني، ج3: 70.

⁽³⁷⁾ تنظر القصة كاملة في ديوان بشار، ج1: 40.

فقد كانت الزندقة سلاحاً بيد السلطة، تجرّده حين تشاء على من تشاء من خصومها للقضاء عليهم والتخلّص منهم، لا غيرة على الدين ولا احتراماً له. وبعض ممن كان يمثل السلطة كان قد ازدري الدين وعبث بأحكامه. ولو كان الأمر بيد سواهم لكان هؤلاء أول من يقدم بتهمة الزندقة وأول المضروبة أعناقهم فيه؛ ولكن بما ان السلطة هي التي تسلطت على الرقاب فهي التي تضع الضوابط والقوانين التي تتناسب وسياستها. والدليل ان الشعراء (الزنداقه) أو الاصح أن يطلق عليهم الشعراء الخلاء المجان كانوا ندماء الخلفاء، لا تعمر مجالسهم إلا بهم ولا يكتمل سرورهم إلا بحضورهم. والحديث عن قتل بعضهم بسبب الزندقة حتى مع افتراض صحّة التهمة. حديث يحتاج الى وقفة وتدبر. حديث من يريد ذر الرماد في العيون ليدافع عن السلطة باحثاً عن مبررات لبطشها عامدا الى الزندقة كونها افضل حجة تبرر قتل الناس. وهذا لا يعني عدم وجود زندقة او زنداقه، لكنها لم تكن الحجة الحقيقية دائماً للقضاء على اعداء الدين كما يصورها لنا التاريخ⁽³⁸⁾.

2- عبد الله بن المقفع ابن المقفع، هذا المفكر الأديب الكبير يقول عنه الشريف المرتضى: ((كان جيد الكلام , فصيح العبارة, له حكم وامثال مستفادة))⁽³⁹⁾، هل كانت دار عاتكة حقاً وراء اتهامه بالزندقة؟ كما تذهب إلى ذلك الرواية المشهورة وهي تتحدث عن نهايته. ثم إنّ ابن المقفع لم يُكره على الإسلام وإمّا أسلم طوعاً واقتناعاً. وكان يستطيع أن يبقى على دينه القديم .

لكن لماذا الاتهام والقتل بالزندقة هنا؟ لم لم يتهم ابن المقفع بالردة؟ مثلاً وتطبّق عليه أحكام الارتداد كما تطبّق على أي مسلم ترك الإسلام إلى غيره؟! فذلك أحرى أن يمنح السلطة غطاءً شرعياً لا نزاع فيه. لكن السلطة، كما تثبت كل الوقائع، لا تهتم بهذا الغطاء ولا تفكر فيه، حين ترى أنّ مصلحتها يمكن أن تتعرّض لخطرٍ ما. تلك واحدة من التهم الموجهة إلى ابن المقفع لإثبات زندقته واستحلال دمه⁽⁴⁰⁾.

ويعتقد بعضهم إن تهمة الزندقة وجهت إليه كجزء من الخلافات السياسية داخل الأسرة العباسية؛ وذلك عندما نشب الصراع بين أبي جعفر المنصور وعمه سليمان بن علي واخيه عبد الله بن علي الذي طلب من ابن المقفع كتابة صك الامان في حال غدر المنصور به؛ ومما جاء فيه _ صك الأمان_ : ((ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ففساؤه طوائق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته))⁽³²⁾. ويبدو ان هذا السبب كان وراء تهمة

⁽³⁸⁾ ينظر: امالي المرتضى، للشريف المرتضى، ج1: 127-145. وفيه ذكر لعدد كبير من الادباء الذين اتهموا بالزندقة.

⁽³⁹⁾ امالي المرتضى، للشريف المرتضى: ج1: 136.

⁽⁴⁰⁾ ينظر: شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com في الزندقة والشعبوية،

⁽³²⁾ أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد/ للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (355-436هـ)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: 1387هـ - 1967م). المجلد الأول : ص136.

ابن المقفع بالزندقة وجعلها مبرراً شرعياً للتخلص منه لجهله الذي اوقعه في كتابة هذا الأمان. وهذا ما يؤكد ما آل إليه الأمر فيما بعد؛ فعندما وصل خبره ((اشدد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة. وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلب وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله))⁽³³⁾.

ومن هنا نستطيع أن ندرك السبب في عدّ أبو جعفر المنصور ابن المقفع زنديقا، ذلك لانه من وجهة نظره ((من انظموا إلى المعارضة، وبذلك وجبت ملاحظته وتصفيته بأي شكل كان. فوجدوا من تهمة الزندقة خير مبرر))⁽³⁴⁾ لذلك.

ويرى اخرون في بعض كتاباته ولاسيما في باب برزويه من كتاب كليلة ودمنة مؤشرات على الإلحاد؛ حيث يقول: ((وجدت الأديان والملل كثيرة من أقوام ورثوها عن آبائهم وآخرين مكرهين عليها وآخرون يبتغون بها الدنيا ومنزلتها، فرأيت أن أواظب علماء كل ملة لعلني أعرف بذلك الحق من الباطل ففعلت ذلك وسألت ونظرت فلم أجد من أولئك أحدا إلا يزيد في مدح دينه وذم دين من خالفه ولم أجد عند أحد منهم عدلا وصدقا يعرفها ذو العقل ويرضى بها))⁽⁴¹⁾

وتهمة أخرى تتداولها الألسن، وهي هذه التي تتعلق بمعارضته للقرآن. ولقد أثارها وناقشها وفندها كثيرون. فقد زعم بعضهم أنّ ابن المقفع عارض القرآن وهناك من يقول انه عني بتأليف الكتب وبنسخها بخط جميل وبتعليقها ليجذب إليها الانظار ومن ثمّ يبعد الناس عن الالتفات للقرآن، وقد قتل ابن المقفع في النصف الأوّل من القرن الثاني الهجري عام (١٤٢هـ)، وهكذا انتهت حياة هذا الأديب الكبير لم تقتله الزندقة، على افتراض صحّة اتّهامه بها، بل قتلتها السياسة⁽³⁵⁾.

⁽³³⁾ أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد/ للشريف المرتضى.

⁽³⁴⁾ الزندقة في الأدب العربي : 175.

⁽⁴¹⁾ كليلة ودمنة ،ابن المقفع، ص:

⁽³⁵⁾ كان ابن المقفع كاتباً لعيسى بن علي ، وهو الذي تولى كتابة الأمان لعبد الله حين تمّ الاتفاق عليه مع المنصور .وقد اجتهد ابن المقفع في صياغة هذا الأمان محتسباً من أيّ تأويل يمكن أن ينفذ منه المنصور للإيقاع بعبد الله .وزيادة في الحيلة والحذر ، فقد ضمن كتاب الأمان عبارات أحفظت المنصور ، وبلغت به من الغيظ كل مبلغ حتى طلب من يكفيه ابن المقفع .وكان سفيان بن معاوية يحقد على ابن المقفع ويكرهه أشدّ الكره لأسباب يردها المؤرّخون ويضيف الباحث سببا اخر أثار المنصور ضد ابن المقفع ودفعه للقضاء عليه نقد ابن المقفع الذي ضمّنه رسالة الصحابة في سياسة الحكم ، والتي تعرّض فيها بالنقد الخفي حيناً والواضح حيناً واللاذع دائماً لرأس السلطة الخليفة المنصور. ينظر: شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com في الزندقة والشعوبية. وينظر: مدخل التفسير أبحاث حول إعجاز القرآن والدفاع عن صيغته من

3- صالح بن عبد القدوس

يقول عنه ياقوت الحموي في ترجمته له: ((كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم أتهم بالزندقة فقتله المهدي))⁽³⁶⁾.

ويقول ابن عساكر: ((كان حكيماً الشعر زنديقاً متكلماً ... وكان يعظ الناس بالبصرة ويقص عليهم...))⁽³⁷⁾. أما الذهبي فيقول فيه: ((صاحب الفلسفة والزندقة ... كان يعظ الناس بالبصرة ويقص))⁽³⁸⁾. ويذكر ابن شاعر الكتبي عنه: ((... كان حكيماً الشعر زنديقاً متكلماً ...))⁽³⁹⁾.

أما ابن حجر فيقول في ترجمته: ((صاحب الفلسفة والزندقة ...))⁽⁴⁰⁾.

ويقول ابن النديم عنه: ((ومن رؤسائهم _ يقصد المانوية _ المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة : صالح بن عبد القدوس))⁽⁴¹⁾.

من خلال ما تقدم نستطيع أن نلاحظ اتفاق كلمة الذين ترجموا له أو ذكروه من أنه كان حكيماً متكلماً فيلسوفاً، لكنهم يضيفون الى ذلك أنه كان زنديقاً.

فهو إذن حكيماً متكلماً، لكن ذلك وحده لا يكفي فلا بد من تهمة والزندقة جاهزة . تبرر قتل هذا الذي تجرأ فجلس للوعظ في مسجد البصرة يقص على الناس ويحدثهم.

وإذا تعرضنا لشعره فإنّ شعره لا يخلو هو أيضاً من موعظة وحكمة، وليس كهؤلاء الشعراء المجان الزنادقة الذي يكاد شعرهم يقتصر على الخمر ومجالس اللهو والجواري والغلمان. تحميمهم السلطة وتغض الطرف عنهم وتجزل عطاياهم ما داموا بعيدين عن السياسة والحكم، بعيدين عن الناس وواقعهم المثقل بالهم والأسى، بعيدين عن كل ما يمكن أن يزعج السلطة ويثير المشاكل أمامها، هي حجة دامغة يقتنع بها اصحاب العقول البسيطة .

التحريف ، وحجّية القراءات ، ومناقشة القراء ، وقوانين أصول التفسير ، الشيخ محمد الفاضل اللكراني تحقيق و نشر : مركز فقه الأئمة الأطهار(عليهم السلام) ، ص: 140.

⁽³⁶⁾ معجم الأدباء ، ياقوت الحموي؛ بيروت: دار المستشرق. ج ١٢ / ص ٦، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي ، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشرة، 2007م. ج 3/ص 192.

⁽³⁷⁾ تاريخ دمشق ، لابن عساكر ج ٦ : ص ٣٧١ .

⁽³⁸⁾ ميزان الاعتدال ، ترجمة صالح بن عبد القدوس ج ٢ ص ٢٩٧ .

⁽³⁹⁾ فوات الوفيات لابن شاعر الكتبي ، تحقيق احسان عباس دار صادر - بيروت ج ٢ ص ١١٦ .

⁽⁴⁰⁾ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٣ : ص ١٧٢ .

⁽⁴¹⁾ الفهرست ، لابن النديم دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ص ٤٧٣ .

وفي مقتله يروى انه ((لما أراد المهدي قتله على الزندقة رمي اليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح أو تعرفه أنت يا أمير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال أفقتلني على ما لا تعرف قال فاني أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزندق وكذلك اقرؤه ولست بزندق))⁽⁴²⁾.

ويبدو ان هذه التهمة لا يمكن التراجع عنها حتى بإعلان التوبة فقد ((ذكر محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قذف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه:

رب سر كنتمته فكأنى * أخرس أو ثنى لساني خبل
ولو أني أبديت للناس علمي * لم يكن لي في غير حبسي أكل

قال صالح فاني أتوب وأرجع فقال له هيهات ألسنت القائل:

والشيخ لا يترك عاداته * حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاوده جهله * كذى الضنى عاد إلى نكسه

ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد))⁽⁴³⁾.

لا يهم بعد أن يكونوا زنادقة أو مؤمنين عرباً أو موالي، مستهترين أو مترمطين. لم يكن صالح من هؤلاء، أو لنقل لم يكن نشاطه كمنشأ هؤلاء، بل كان صاحب فكر وحكمة، وحين يقص على الناس في مسجد البصرة فلا بد أن يصدر في قصصه ووعظه عن فكر وحكمة، ولا بد أنه كان يتناول في قصصه ووعظه بعض مشاكل الناس ومواقف السلطة، ولو من بعيد⁽⁴⁴⁾.

ولم تكن السلطة لتحتمل موقفاً كهذا، فلا شيء يقلقها ويغيظها أكثر من أنك تعظ الآخرين وتنبههم إلى ما هم فيه، وإلى ما يمكن أن يكونوا عليه، وتدعوهم عن طريق الوعظ والقصص – وهو أسهل الطرق وأسرعها نفاذاً إلى القلب – لمحاولة إصلاح أو تغيير أو البحث عن الحرية التي كانت السلطة الحاكمة تمنعها عن الشعوب وتسلبها منهم بشكل أو بآخر متخذة في ذلك شتى الطرق والوسائل لتحقيق هدفها؛ وليس اسهل عليها من رداء الزندقة لتلبسه لمعارضيتها، وبذلك تستطيع ان تزيح من طريقها كل من يشكل لها مصدر قلق أو اضطراب.

(42) أمالي المرتضى : ج1/ 144.

(43) أمالي المرتضى : ج1/ 145.

(44) ينظر: شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com في الزندقة

وبعد فهؤلاء هم، أشهر الذين قتلوا في الزندقة، وأنّ الذي قتلهم لم يكن غير السياسة والصراع السياسي، وما يتصل به وما هو قريب منه. قد يكون بينهم من كان زنديقاً حقاً، لكن أسباب قتلهم لم تكن لها صلة بالزندقة. بمعنى ان الزندقة مصطلحا ومفهوما ارتبطت بالأشخاص أكثر من ارتباطها بالفكر أو المفهوم أو المنهج.

من خلال ما تقدم من شواهد لشخصيات ذات مشارب فكرية متنوعة ومتباينة منطلقاً من آيدولوجيات تكاد تكون متباعدة في الوقت ذاته يمكننا القول أنّ الزندقة التي تحاربها السلطة، هي في الحقيقة زندقة الفكر، حين تخرج وتتحرك، أو حين تدخل في الصراع السياسي. وليس من شيء يخيف السلطة أكثر من الفكر حين يبحث وينقد ويرفض، وحين يسعى إلى نشر هذا الفكر الذي يمثّل الخطر الحقيقي على السلطة ورؤوسها الحاكمة.

أما الخلاعة والمجون واللغو الذي يشغل الناس عن السلطة ويلهيه ويصرفهم عن التفكير في واقعها وواقعهم، فليس من الزندقة التي تحاربها السلطة. إن لم تشجّع عليها. ما دامت قائمة بمهمتها في إلهاء الناس، وإبعادهم عن التفكير في هذه المأساة التي يجيئها وفي أسبابها.

هنا على القارئ وبعد قراءته لنماذج متباينة عن شخصيات وصفها التاريخ. الزنادقة لا بد من ان يتوقف عند مفهومين للزندقة:

الاول: هو الكفر والاحاد والمجون؛ فتكون الزندقة بمفهومها الحقيقي أي ابطان الكفر واطهار الايمان. وهذا هو المفهوم اللغوي له.

أما المفهوم الثاني : فهو المرتبط بالفكر ومدى معارضته للسلطة فتكون زندقة فكرية. وهذا ما لمسناه من خلال استعراض الشخصيات التي طالتها تهمة الزندقة وكانت السبب في قتلهم وإنهاء حياتهم.

الخاتمة

بعد البحث في مختلف المصادر التي اعتمدها في دراسة اشكالية مصطلح الزندقة ومفهومه، وبعد استعراضنا للآراء التي قيلت بصدها توصلنا إلى النتائج الآتية :

- الزندقة مصطلح عام كان يطلق على حالات عديدة، واستعمل البعض تسمية زنديق لكل من خالف مذهب السنة ويصف البعض تيارات معينة من الصوفية بالزندقة كما أصبحت كلمة الزندقة صفة تطلق اعتباراً في السياسة.

- اتسع لفظ الزندقة، حتى تحوّل إلى شبح مخيف وإرهاب. وأي إرهاب هذا الذي يفقد معه الناس حياتهم على الظن والتهمة ، كما كان يفعل بعض الساسة ومن يسير على خطاهم الان من تنظيمات ارهابية تقتل على الهوية. وتكفر على هواها.

- يبدو أنّ السياسة كانت وراء تميع مفهوم الزندقة، لا لأنّ هذا المفهوم غير قابل بطبيعته للتحديد، بل لأنّها لا تريد تحديده، وتحرص على إبقائه واسعاً مبهماً تستطيع أن تلجأ إليه وتستعمله كلما أرادت التخلص من خصومها، بمعنى ان المصطلح والمفهوم يكادان يتوحدان لولا السياسة التي لم ترد ذلك خدمة لمصالحها الشخصية أو الفئوية.

- كان النزاع بين المذاهب الإسلامية المختلفة يلعب دوراً أقل ما يوصف به أنّه دور المبرّر والمؤيد للسلطة في القتل وسفك دماء الناس بحجة الزندقة تقريباً إلى الله؛ ولا ننسى دور رجال الدين المتطرفين وسعيهم لإشعال الفتن واستباحة الدماء بحجة الحفاظ على الدين. ودور العقائد الفاسدة في اشعال فتيل الحرب.

- التفاوت الكبير، بل غير المعقول بين طبقات المجتمع، طبقة صغيرة تملك كل شيء، وطبقات كبيرة حرمت من كل شيء. هذا التفاوت كان من بين أهم الأسباب التي شجعت على الزندقة وساعدت على انتشارها وسهّلت الطريق أمام دعايتها، وقد انعكس هذا التفاوت في شطح فكري بلغ حد الكفر.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول إن هذا البحث يصلح أن يكون مدخلاً إلى فضاءات أخرى يتسع فيها النقاش لأنه عالج قضايا جدلية ثرية بالتأمل وملائى بالرؤى تفتح الباب على مصراعيه للوقوف امام بعض الاشكاليات الفكرية والطروحات الايديولوجية التي تعترض الساحة الفكرية في العصر الراهن.

المصادر والمراجع :

- __ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي ، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشرة، 2007م
- __ أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد/ للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (355- 436هـ)؛ تحقيق مُجدّ أبو الفضل ابراهيم ، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: (1387هـ - 1967م).
- __ أمراء البيان، مُجدّ كرد علي، الطبعة الثالثة، دار الأمانة، بيروت، 1969 .
- __ البيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح ، مُجدّ عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948.
- __ البداية والنهاية في التاريخ ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، مكتبة المعارف بيروت - 1990م.
- __ تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت، ط1، 1989م.
- __ تاريخ دمشق لابن عساكر (499 هـ - 571 هـ)، تحقيق علي شيري، دار الفكر.
- __ (حياة مُجدّ) ، الدكتور مُجدّ حسين هيكل ؛ الطبعة ١ ؛ القاهرة ١٣٥٤هـجري .
- __ دين الانسان، فراس السواح ، دار علاء الدين- دمشق ، ط4، 2002م.
- __ ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق الشيخ مُجدّ الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة-الجزائر، 2007م.
- __ الرافضة ودورهم في نشر الزندقة الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي من درس: ظاهرة الزندقة وما يتعلق بها من أحكام. <http://s1065320>
- __رسالة في الرد على النصارى ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط1- 1979م.
- __ الزندقة في الاب العربي (العصر العباسي الاول) : الدكتور هاشم جعفر الحيدري؛ العارف للمطبوعات: بيروت ، الطبعة الأولى: تموز 2011م.
- __ شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي www.alhassanain.com في الزندقة والشعبوية
- __ العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، 1975.
- __ الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ط 12، دار المعارف، القاهرة، 1981.
- __ الفهرست ، لابن النديم دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، د.ت ، د.ط
- __ فوات الوفيات والذيل عليها/ تأليف مُجدّ شاکر الکتبي(764هـ)؛ تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت: دار صادر

- _ كتاب الأغاني, ابو الفرج الاصفهاني, مطبعة بولاق - مصر 1285هـ.
- _ كتاب كليلة ودمنة ضمن الأعمال الكاملة له: عبد الله بن المقفع, طبعة بيروتية, 1985
- _ لسان العرب, ابن منظور, تحقيق مجموعة من المحققين, دار المعارف - مصر.
- _ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني موقع الوراق, المكتبة الشاملة
- _ مختار الصحاح, مُحمَّد بن أبي بكر البغدادي, بغداد 1985م.
- _ مروج الذهب ومعادن الجوهر, المسعودي, تحقيق محيي الدين عبد الحميد, باريس 1874م.
- _ معجم الأدباء في عشرين جزءً / ياقوت الحموي ؛ بيروت: دار المستشرق.
- _ المعجم الرائد, جبران مسعود, دار العلم للملايين- بيروت ط7-1992م.
- _ مفاتيح العلوم , للخوارزمي , طبع عثمان خليل-مصر سنه 1930م-1349هـ
- _ ميزان الاعتدال في نقد الرجال مُحمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي, تحقيق علي مُحمَّد البجاوي دار المعرفة , بيروت.
- _ المعجم الوسيط, مجموعة مؤلفين, تحقيق مجمع اللغة العربية, دار الدعوة.
- _ من تاريخ الاحاد في الاسلام , الدكتور عبدالرحمن بدوي , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط2- 1980م.